

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٢٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٢

الرسالة

مجلة أسبوعية للفكر والعلم والفن

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

إبراهيم الزيات

الإدارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
ت رقم ٤٧٣٩٠ ، ٥٢٤٥٥

العدد ٢٠٨ ، القاهرة في يوم الاثنين ١٩ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦ - ٢٨ يونية سنة ١٩٣٧ ، السنة الخامسة

الضعف في اللغة العربية

للأستاذ أحمد أمين

رددت الجرائد والمجلات في هذه الأيام الشكوى من ضعف الطلبة وخروجي الجامعة في اللغة العربية - ولا شك أنها مسألة لا يصح أن تمر من غير أن يتداولها الكتاب بالشرح والتعليل ، ويقبلوها على وجوهها المختلفة ، حتى يصلوا إلى علاج حاسم .

أما إن الطلبة ضعاف جداً في اللغة العربية فأمر لا يحتاج إلى برهان . فأكثرهم لا يحسن أن يكتب أسطراً ولا أن يقرأ أسطراً من غير لحن فظيع يكاد يكون بعدد الكلمات التي يكتبها أو يقرأها ؛ وهم إذا خطبوا أو قرءوا أو كتبوا أو أدوا امتحاناً رأيت وسمعت ما يثير العجب ويبعث الأسف . وأما أن الضعف في اللغة العربية نكبة على البلاد فذلك أيضاً أمر في منتهى الواضح ، لا لأن اللغة العربية لغة البلاد والضعف فيها ضعف في القومية فقط ، بل لأنها اللغة التي يعتمد عليها جمهور الأمة في ثقافتهم وتكوين عقليتهم ؛ فاللغة الأجنبية التي يتعلمها طلاب المدارس الثانوية والعالية ليست هي عماد الثقافة ، وليست هي التي تكون أكثر جزء في عقليتنا ، إنما الذي يقوم بهذا كله هو اللغة العربية التي تتعلمها في الكتاتيب ورياض الأطفال ، وندرس بها العلوم المختلفة

فهرس العدد

صفحة	
١٠٤٩	الضعف في اللغة العربية . : الأستاذ أحمد أمين
١٠٤٥	في الحب أيضاً : الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
١٠٤٧	جهاد شعب مصر في سبيل حقوقه في القرن الثامن عشر
١٠٥٠	مصر في خاتمة القرن السابع عشر : الأستاذ محمد عبد الله عثان
١٠٥٢	التنابذ والاختلاف في الأدبين العربي والإنجليزي . : الأستاذ غري أبو السعود
١٠٥٥	راجينا الثقافي : الأستاذ إسماعيل مظهر
١٠٥٩	لية في مكة : الدكتور عبد الكريم جرماتوس
١٠٦٢	موانع الابتكار في أدبنا الحديث : الأستاذ محمد يونس
١٠٦٤	نقل الأدب : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
١٠٦٧	الفلسفة الشرقية : الدكتور محمد غلاب
١٠٧٠	هكذا قال زرادشت . . . : الفيلسوف الألماني فردريك نيتشه
١٠٧٢	ميكلانجلو : الدكتور أحمد موسى
١٠٧٥	وفاة جيمس بارى عبد الكوميديا الانكليزية - أعياد جامعة لوزان
١٠٧٦	كتاب جديد لاميل لودفيج - جامعة انكليزية في قبرص .
١٠٧٧	مسارح الهواء الطلق - الاحتفال بذكرى وفاة ابن سينا - منح جوائز التفوق العلمي .
١٠٧٨	بقعة من حبر (قصة) . : ترجمة الأدب أحمد محمود

الشديدة إلى عناية كبرى لتذليل صعوباتها ورسم أقرب خطة للتغلب عليها حتى يحذفها المتعلم من أقرب سبيل .

فإذا نحن وصلنا إلى المعلم فقد وصلنا إلى نقطة شائكة ، ذلك لأننا اعتدنا دائماً أن نقل النقد في الأمور العامة إلى مسائل شخصية ، ونحول الكلام في المبادئ العامة إلى فئات وأحزاب ، ونسى الظن بالنقاد ، فإن كان من فئة خاصة ظنوا أنه يدافع عن فئته وأنه يريد تنقص غيره . فهل يسمح للمعلمون بأن أصارحهم القول مؤكداً أن لا غرض لي إلا الإخلاص للحق ؟ إن كان كذلك فاني أصدقهم القول بأن جزءاً كبيراً من ضعف اللغة العربية يرجع إليهم . ولست أنكر أن منهم أفضاذا نابغين يصح أن يكونوا المثل الذي نشده ، ولكن المنطق عودنا أن يكون حكمتنا على الكثير الشائع لا على القليل النادر

فالحق أن دار العلوم والأزهر وكلية الآداب لم تستطع أن تخرج المعلمين الأكفاء الذين تتطلبهم والذين تتطلبهم اللغة العربية للأخذ بيدها والنهوض بها ومجاربة الضعف الفاشي فيها . فأما دار العلوم فقد تأسست . والذي دعا وزارة المعارف إلى إنشائها أنها أحست بعجز الأزهر عن أن يمدّها بالمعلمين الصالحين لها ، إذ رأت الأزهر تنقصه - إذ ذاك - الثقافة الحديثة والعلم بمناهج التربية والتعليم ، وقد نجحت الوزارة في تحقيق هذا الغرض إلى حد كبير ، وأخرجت رجالاً نهضوا باللغة العربية إلى حد ما ، وأحسوا التدريس على حير مما كان يدرسه الأزهريون ، ولكن دار العلوم كانت ساذجة تحتاج الأمة في السنين الأولى من إنشائها ، ثم تقدمت الأمة في ثقافتها ووقفت دار العلوم حيث كانت ، فأصبحت لا تؤدي رسالتها كاملة ، وأصبح خريج دار العلوم لا يحذف الأدب القديم ولا الأدب الحديث ، ولا يستطيع تغذية الشعب بالأدب الذي هو في حاجة إليه ، ولاله من المهارة في الوسائل ما يستطيع بها أن ينهض بالطلبة النهوض اللائق ، ولا هو يسير الزمن في ثقافته حتى يخضع الطلبة لشخصيته القوية ؛ ودليل ذلك أمور كثيرة : منها ضعف المكتبة العربية وهو ما سأبينه بعد ؛ ومنها عجز معلمى اللغة العربية عن تشويق الجمهور والطلبة إلى القراءة العربية ، حتى أنا نرى الناشئ لا يكاد يستطيع القراءة في الكتب الأجنبية حتى يهيم بها ويفضلها ألف مرة على المطالعة العربية ؛

في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية . فالضعف في اللغة العربية ضعف في الوسيلة والنتيجة معاً ، على حين أن الضعف في اللغة الأجنبية في كثير من الأحيان ضعف في الوسيلة فقط ، ولهذا أعتقد أن معلم اللغة العربية في المدارس على اختلاف أنواعها عليه أكبر واجب وأخطر تبعة ، وبمقدار قوته وضعفه تتكون - إلى حد كبير - عقلية الأمة .

وبعد ، فما هي الأسباب التي نشأ عنها هذا الضعف ؟ أظن أنه يكفي في هذا المقال الإجابة عن هذا السؤال وإرجاء الكلام في العلاج إلى مقال أو مقالات أخرى .

فنعنى أن الأسباب ترجع إلى أمور ثلاثة : طبيعة اللغة العربية نفسها ، والمعلم الذي يعلمها ، والمكتبة العربية .

فأما طبيعة اللغة العربية فهي صعبة عسرة إذا قيس - مثلاً - باللغة الإنجليزية أو الفرنسية . ويكفي للتدليل على صعوبتها ذكر بعض عوارضها : فهي - مثلاً - لغة معربة ، تتعاور أواخرها الحركات من رفع ونصب وجزم حسب العوامل المختلفة ؛ ولا شك أن اللغة المعربة أصعب من اللغة الموقوفة ، أعنى التي يلتزم آخرها شكلاً واحداً في جميع المواضع ومع جميع العوامل كاللغة الإنجليزية والفرنسية .

وهي صعبة كذلك من ناحية أن حروفها وحدها لا تدل على كيفية النطق بها ، بل لا بد لصحة النطق من الضبط بالحركات أو المرات الطويل ، على عكس اللغات الأوروبية التي تدل كتابتها على كيفية النطق بها في أكثر مواضعها . والضبط بالشكل عسير فلا نستعمله في الجرائد والمجلات ولا في أكثر الكتب الأدبية قديمها وحديثها .

وهي صعبة - أيضاً - من ناحية الاختلاف الكثير في الفعل الثلاثي ، فله أشكال كثيرة لا يمكن إخضاعها لضوابط حاسمة ، وكصنع جرع التكسير فهي كثيرة وضوابطها قلما تطرد ، وكنظام العدد والمعدود فانه معقد تعقيداً شديداً حتى لا يجيده إلا الخاصة وأشباههم .

كل هذا ونحوه يجعل اللغة العربية صعبة المثال ، وإتقانها يحتاج إلى مران كثير ومجهود كبير من المتعلم والمعلم .

ولست أعرض هذا لبيان ما إذا كانت هذه الأعراض مظهراً من مظاهر رقي اللغة أو ضعفها فإن هذا لا يعني الآن ، وأما الذي يعني فهو تقرير صعوبة اللغة العربية وحاجتها

يعصف بهذه الفكرة الصالحة تعصب كل فئة لنفسها ، فضاعت بذلك المصلحة العامة

ويتصل بأمر المعلمين مسائل كانت هي الأخرى سبباً في الضعف وهي مناهج الدراسة والامتحانات والتفتيش فناهج تدريس اللغة العربية متحجرة برغم ما يبدو من مدنيته وأناقته . خذ - مثلاً - منهج قواعد اللغة العربية والبلاغة تجد أنهما إلى الآن لا يزالان هما بعينيهما منهجى سيويه والسكاكى على الرغم من زخرفتهما ، فالتقسيم الذى قسمه سيويه في النحو والتعاريف التى وضعها والمصطلحات التى ذكرها هي هي في كتب المدارس اليوم . وكل ما حدث حتى في الكتب التى ألفت منذ سنوات قليلة - هو ذكر الأمثلة الرشيقة وتبسيط الشرح ، ولكن لم يبدل أى مجهود في معالجة النحو على أساس جديد كضم مسائل متعددة إلى أصل واحد حتى يسهل على الطلبة فهمها وتحصيلها . وكوضع مصطلحات جديدة أقرب إلى الفهم ونحو ذلك . وحسبنا دليلاً على ذلك ما نراه في أجروميات اللغات الحية الأخرى ؛ فأجرومية اللغة الفرنسية أو الانجليزية اليوم تخالف - في الجوهر - ما كانت عليه منذ عشرين سنة فضلاً عن قرن وقرنين

ومصيبتنا في البلاغة أعظم ، فبرامجنا لا توحى بلاغة ، ولا تربي ذوقاً ؛ وإلا فقل لى بربك ماذا تفيد دراسة الفصل والوصل ، على هذا المنهج إلا تكرير مصطلحات فارغة ككمال الاتصال وكمال الانقطاع وشبه كمال الانقطاع وشبه كمال الاتصال ؟ وأخبرنى أى أديب يراعى ذلك عند كتابته ، ومتى كانت هذه المصطلحات الفارغة وسيلة لرقى الذوق الأدبي ؟ وليست برامجنا في الأدب بأقل سوءاً من هذين ، فإننا نضع في البرنامج أول الأمر مسائل فلسفية وقواعد في النقد وتاريخ الأدب في العصور المختلفة قبل أن يلم الطالب بمجمره كبيرة من الأدب يقرأها ويحفظها ويتذوقها ، وبذلك تقدم له نتائج من غير مقدمات ، ونصعده على السطح من غير سلم والذين يضعون البرامج يكلفون وضعها في أسبوع أو أسبوعين أو شهر أو شهرين . وماذا على وزارة المعارف لو كلفت من يضع لها البرامج المستقبلية في سنتين أو أكثر على ألا توضع إلا بعد دراسة عميقة ، ثم تنشر في الجرائد والمجلات

ومنها نظر الطلبة في صميم نفوسهم إلى أن اللغة العربية مادة ثانوية وإن وضعت في المناهج في أوائلها ؛ ومنها أن الثقافة في الجمهور فيما يتعلق بالتاريخ الإسلامى والأدب العربى والمعلومات العامة التى تتصل بذلك ضعيفة إلى حد بعيد ، والمستول عنها - كما أسلفنا - هم معلو اللغة العربية لأنها لغة البلاد وعليها يعتمد في تكوين العقلية ، إلى كثير من مثل هذه الأسباب . وأما الازهر من ناحية اللغة العربية فهو الآن وليد دار العلوم ، والمشرف على تعليم اللغة العربية فيه هم خريجوها ؛ فقصاراه أن يبلغ من الرقى ما بلغته مدرسة دار العلوم في تعليمها ونظمها ومناهجها حتى يحل محلها ؛ ويكفى هذا برهاناً على أنه لا يحقق الغرض الذى نرمى إليه .

وأما قسم اللغة العربية في كلية الآداب فكذلك ناقص ضعيف ، فهو يعلم طرق البحث الجامعى ، وهذا يضطره إلى أن يتوسع في مسألة وأن يهمل مسائل ، فلا يخرج الطالب دارساً ليكل ما ينبغي أن يدرس . أضف إلى ذلك أنه يعتمد في طلبته على طائفة مخرج أكثرها من المدارس الأميرية وحصلوا على شهادة الدراسة الثانوية ، وهؤلاء لا يصلحون صلاحية تامة لدراسة اللغة العربية إلا بعد عهد طويل لا تكفى له سنة الدراسة الجامعية ؛ ذلك أن اللغة العربية متصلة اتصالاً وثيقاً بالدين ، ولا يمكن أن يحذقها ويستطيع أن يفهم كتبها القديمة إلا من بلغ درجة عالية في فهم القرآن والحديث والفقه وأصول الفقه والتاريخ الإسلامى ، والطلبة الذين تأخذهم الجامعة لهذا القسم لم يتقنوا هذه الثقافة ، ولا تستطيع الجامعة أن تكمل هذا النقص مهما بذل المدرسون من الجهد . ومن أجل هذا ترى أن طلبته يبنوا يجيدون نهج البحث في المسائل إذ يقصرون تقصيراً معيماً في مسائل تعد في نظر الازهر ودار العلوم مسائل أولية وهى في الواقع كذلك .

إذن من الحق أن نقول إن المعاهد التى تدرس اللغة العربية في مصر تعجز عن إخراج المعلم الكف ، ومن العجيب أن توجد هيئات ثلاث لتحضير معلمى اللغة العربية والبلد لا يحتاج إلا إلى هيئة واحدة ؛ ثم كل هذه الهيئات معيب لتوزيع قواها ، ولوجودت القوى في هيئة واحدة - ولا أتعرض الآن لبيان ما هي - لا استطاعت أن تخرج خيراً نموذجاً للمعلم ، ولكن

وتقبل الاعتراضات عليها ويعمل بالصالح منها، ثم تثبت الوزارة العمل بها عهداً طويلاً حتى تتم تجربتها؟

ثم الامتحانات أمرها غريب! فمع هذا الضعف الذي نسمعه في كل مكان، تظهر نتيجة الامتحانات في اللغة العربية باهرة، والسقوط فيها نادر! فشيء من شينين: إما أن تكون الشكوى في غير محلها، وهذا ما لا يسلم به عاقل، أو تكون الامتحانات على غير وجهها، وهذا ما يقوله كل عاقل. وسبب هذا السوء في الامتحان كثير، فنظريات النحو واسعة تختمل أن يكون لكل خطأ تأويل من الصواب، ومنها عدم تقدير ورقة الامتحانات في جعلتها حتى يصح أن يسقط الطالب إن أتى بخطأ شنيع في موضع ولو أصاب في مواضع أخرى، ومنها الرحمة والشفقة في التصحيح، وأؤكد أن لوزالت هذه الرحمة سنة من السنوات وأدرك الطالب ما تعامل به ورقته من الحزم في الامتحان لخدم هذا الموقف اللغة العربية في المدارس جملة سنين

ثم التفتيش! والمفتش معذور، فهو كالقاضي يطبق مواد القانون ولا يشرعها، فعليه أن ينظر كم موضوعاً لإنشائها كتبه الطلبة، وهل هذا يتناسب مع العدد المقرر في السنة، وهل ترك المدرس كلمة خطأ في كراسة الطالب من غير أن يصححها، وهل أساء المدرس إساءة كبرى فاستعمل كلمة «التليفون» و«الراديو» أو على العموم استعمل كلمة ليست في القاموس المحيط، أو «لسان العرب» فأما هل ينجح المدرس في تعليمه اللغة العربية لطلته، وما الوسائل التي استعملها، وهل تقدم الطلبة في القراءة والكتابة فأمر في المنزلة الثانية؛ وأما ما ينبغي أن يدرس هنا أو لا يدرس. وما العوامل في الرقي باللغة العربية - على العموم - فأمر يرجع في الأغلب إلى المشرع لا إلى المفتش

نعود - بعد - إلى المسألة الأخيرة من أسباب ضعف اللغة العربية. وهي مسألة المكتبة العربية، فالحق أنها مكتبة ضعيفة فاترة، هي مائدة ليست دسمة ولا شبيهة ولا متنوعة الألوان. والحق أيضاً أن القائمين باحضارها لم يجيدوا طهيها؛ فدار العلوم وقد أتى على إنشائها أكثر من خمسين عاماً وقد خرجت الألوف من أبنائها، هل أجادت في إخراج الكتب النافعة المختلفة الألوان والموضوع؟ أو هي قصرت كل التقصير فاخرجت من الكتب ما لا يتفق وعدد خريجيها ومنزاتهم في

الحياة الاجتماعية والأدبية؟

والأزهر وهو أقدم عهداً وأعرق أصلاً لم يشترك في التأليف الحديث اشتراكاً جدياً، ولم يساهم بالقدر الذي كان يجب عليه، ولم يعرف عقلية الناس في العصر الحديث حتى يخرج لهم ما هم في أشد الحاجة إليه

وكلية الآداب - وإن قصر عهدا - لم تؤد رسالتها في هذا الموضوع كاملة، وانجهدت أكثر ما انجهدت إلى الثقافة الخاصة لا العامة

فكثبتنا في كل نواحيها ناقصة من ناحية الأطفال، ومن ناحية الجمهور، ومن ناحية المتعلمين. وحسبك أن تقوم بسياحة في مكتبة أجنبية وأخرى في مكتبة عربية لترى الفرق الذي يحزنك ويبعث في نفسك الخجل والشعور بالتقصير ماذا يقرأ الطفل في بيته وفي عطلة؟ وماذا تقرأ الفتاة في بيته؟ وأين الروايات الراقية التي يصح أن نضعها في يد

أبنائنا وبناتنا؟ وأين الكتب في الثقافة العامة التي تزيد بها معلومات الجمهور؟ وأين الأدب القديم المبسط؟ وأين الأدب الحديث المنشأ؟ الإجابة عن هذه الأسئلة يعرفها كل قارئ لمقاتلي. وواضح أن اللغة لا ترقى بكتبها في قواعد النحو والصرف

وبالبلغة بمقدار ما ترقى بالكتب الأدبية ذوات الموضوع سيقول المعلنون: وماذا نصنع وليس العيب عينا، فوزارة المعارف ترهقنا بالدروس وترهقنا بنظام الكراسات وتصحيحها، وبنحو ذلك حتى لا نجد وقتاً لترقية نفوسنا والازدياد في معلوماتنا فضلاً عن المساهمة في تضخيم المكتبة العربية، والمشاركة في إصلاح جوانب النقص منها

ذلك حق، ولكنه ليس رداً على ما أقول، فإني في هذا المقال أكتفي باستعراض الأدواء استعراضاً خاطفاً سريعاً ثم أعود بعد، إن شاء الله إلى ذكر ما يعنى لي من طرق العلاج وأياً ما كان فالموضوع جد خطير، وهو - كما قلت - جدير بأن يتناول الكتاب بالبحث والتفكير والكتابة ومناقشة الآراء؛ وكل ما أرجو هو ما أشرت إليه ألا تتحول المسألة إلى نزاع شخصي أو طائفي، فالأمر أهم من ذلك كله. وإلى الجحيم كل مسألة شخصية أو طائفية تقف في سبيل الخير العام

أحمد أمين